BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 22.06.2023 | Accepted: 04.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10284038 0000-0003-1301-8982

تأثير العقيدة الإسلامية في تصميم الإنشاءات المعمارية والزخرفية علي شواهد القبور بجبانة دربند بإقليم داغستان خلال القرن الثالث عشر الهجري

The Influence Of The Muslim Faith On Design Of Architectural Con-Structions in Derbend Cemetery Tombstones in Dagestan Region During The 13th Century AH

وليد علي محمد خليل * & محمد ناصر إسماعيل أبوالخير **

Walid Ali Khalil & Muhammad Naser Aboelkhier

ملخص

لم تكن العقيدة الإسلامية بمعزل عن حياة الناس علي اختلاف عقائدهم في حياتهم الدنيا أو حتى في تصميم مثواهم الأخير بعد الموت. وكان أمراً حتمياً أن يؤثر اختلاف المذاهب الدينية والعقائدية علي تصميم شواهد القبور شكلاً ومضموناً، حيث كانت مدينة دربند في العصور الوسطي تزهو بتغلل الثقافة الفارسية بين أوساط سكانها وهو ما أثر على نقل المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى السكان، ومنها استلهم الفنان المسلم في داغستان إبداعاته الفنية وتصميماته الزخرفية من أشكال أبنيتها الدينية مراقدها المقدسة وفنونها التطبيقية والتي مُثلت بطريقة إبداعية على شواهد القبور. وتُبرز تلك الدراسة دور المنشآت المعمارية الشيعية ونوعيات المراقد المقدسة الخاصة بالأولياء وملحقاتها من الفنون التطبيقية في إيران وسبب استلهام الفنان المسلم أشكالها في تصميمات وزخارف شواهد القبور، بالإضافة إلي التعرف على مضامين النقوش الكتابات الدينية والتسجيلية

* Prof. Dr. Fayoum University, Faculty of Archaeology, ORCID: 0000-0003-1301-8982 E-Mail: wam00@fayoum.edu.eg

** Asst. Fayoum University, Faculty of Archaeology, ORCID: 0000-0001-8037-0287 E-Mail: mni11@fayoum.edu.eg

الشيعيّة التي تعددت من الاستشهاد بالتوسل بالإمام الحسين و ذكر أسماء الأئمة الإثني عشرية كما يظهر في العقيدة الشيعية المخالفة لأهل السنة أو تمثيل بعض الرسوم التصويرية التي تدل علي معتنقي المذهب الشيعي في رسوم الطيور والحيوانات.

الكلمات المفتاحية: شواهد القبور، دربند، داغستان، الشيعة، فرسنة السكان.

Abstract: The Islamic faith was not isolated from the lives of people of different faiths in their worldly life or even in the design of their final resting place after death. It was inevitable that the difference of religious and ideological doctrines affected the design of tombstones in form and content, as the city of Darband in the Middle Ages boasted the penetration of Persian culture among its inhabitants, which influenced the transfer of the Ismaili Shiite doctrine to the population, from which the Muslim artist in Dagestan was inspired by his artistic creations and decorative designs from the forms of its religious buildings, its holy shrines and Applied Arts, which were represented creatively on tombstones.

This study highlights the role of Shiite architectural structures and the types of holy shrines of the Guardians and their accessories from the Applied Arts in Iran and the reason why the Muslim artist was inspired by their forms in the designs and decorations of tombstones, in addition to identifying the contents of inscriptions Shiite religious and recorded writings, which varied from quoting the supplication of Imam Hussein or mentioning the names of the Twelver imams It also appears in the Shia doctrine contrary to the Ahl al-Sunnah or representing some pictograms indicating the adherents of the Shiite doctrine in drawings of birds and animals.

Key words: Tombstones, Derbend, Dagestan, architectural constructions, Shiites, Persianization.

مقدمة:

شهدت داغستان[i] في القرن الثالث عشر الهجري موجات متتالية من دول متعددة للسيطرة عليها وبالتالي السيطرة علي طرق التجارة بين إيران والهضبة الأوراسية وتركيا وشمال بلاد البلطيق[ii]، تمثلت في روسيا القيصرية[iii]، تركيا العثمانية[iv]، والدولة الإيرانية مُتمثلة في الحكم الصفوي والقاجاري والأفشاري[v].

وبفضل وقوع داغستان علي خط التجارة بين شعوب الشمال والمسلمين في الجنوب والأتراك العثمانيين[vi] في الغرب انتعشت الأحوال الاقتصادية لمواطنيها مما أدي إلى انتقال التأثيرات الفنية منهم وإليهم، وهو الأمر الذي صاحبه انتقال التجار والمسافرين والارتحال من أراضيها إلي باكو[vii] واستراخان شمالاً [viii]، ومنها بالعودة عن طريق موانئ تاركي[ix]، باب الأبواب (دربند)[x]، باكو (آذربيجان) حتي

تصل إلى الخليج الفارسي. بالإضافة إلى الحملات العسكرية والمعارك الحربية التي دار رحاها على أراضيها بين الأتراك وإيران بدويلاتها الثلاث، وروسيا.

ذاك الموروث الفني الذي وجد أرضاً خصبة للنمو انصهرت مع التأثيرات الوافدة وكوّن طرازاً فنياً جديداً يحمل مميزات الطرز الإسلامية والإمبراطورية، فضلاً عن التعبير عن الموروث والثقافة المحلية بين الشعوب القاطنة في داغستان والتي يدين غالبيتها بالمذهب الشيعي بعد نشره علي يد نادر شاه أفشار[xi] بعد حملته علي قزوين في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي [xii].

وكان من بين التأثيرات الوافدة تصميم المنشآت المعمارية ورسوم التحف التطبيقية والتي أثرت على السمات الشكلية والعناصر الزخرفية التي حظيت بتسجيلها شواهد القبور. وبذلك نُشير إلى عمق تغلغل الثقافة الفارسية وفرسنة السكان في داغستان التي تضرب بجذورها نحو القدم منذ حكم الملك أنوشروان[xiii]. وبين أيدينا عدد من نماذج شواهد القبور التي نُقش عليها بعض رسوم الفنون التطبيقة، الأشكال الحيوانية ورسوم الطيور، فضلاً عن المضمون الكتابي الذي يضم عبارات تسجيلية تخص أصحاب المذهب الشيعي في داغستان والاستنجاد بولاية الحسين والأئمة الإثني عشرية[xiv].

تأثير العقيدة في اختيار تصاميم المنشآت الدينية الشيعية:

من خلال الدراسة الميدانية والاستكشافية لجبانة مدينة دربند وُجدت نماذج لشواهد القبور مُشكلة زخارفها علي هيئة رسوم العناصر المعمارية والكتل الزخرفية المشهورة في إيران وأردبيل. وتبدو للوهلة الأولى عمق الاتصال بين داغستان وإيران في أواصر الاتصال الثقافي والديني واللغوي المنتشر في الإقليم منذ القدم، وازداد في المنطقة منذ العصر الصفوي والإفشاري إبان الحملات العسكرية التي قام بها إسماعيل الصفوي ونادر شاه الإفشاري، وترتب علي تلك الحملات العسكرية تغيرات ثقافية ودينية ولغوية وديموغرافية في أعداد وطباع السكان وأعدادهم ومذاهبهم الدينية والفرعية.

وقد تم تصنيف شواهد القبور حسب السمات الشكلية والمضامين الكتابية والرموز التصويرية؛ فمنها ما شُكّل زخارفه على هيئة طيور مثل البجع وطائر النورس والطاووس. ووردت نماذج أخرى شُكلت زخارفها في هئيات رسوم الحيوان مثل رسوم الغزلان، ومنها ما ضم تصاميم تعبر عن قباب أولياء الصوفية والعتبات المقدسة في إيران؛ ومنها ما احتوت عبارات تسجيلية باللغة الفارسية بأسماء آئمة الشيعة الإثناعشرية؛ وأخرى شملت رسم بعض الفنون التطبيقة مثل الأباريق وأدوات الزينة التي يعلوها الديك رمز الإمامة عند الشيعة الإمامية.

هذا وتدل شواهد القبور على أهميتها في دراسة أحوال المجتمع الإسلامي وكشف جُل ظواهره السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، كما عبرت كذلك عن الموروث المحلي في أرض داغستان التي حُكمت علي مدي قرون من دويلات متعددة من الشرق والغرب، وهو ما أثر على فنونها شكلاً ومضموناً، ولم يمنع ذلك حق فنانيها من ابتكار أسلوب زخرفي وسمات فنية تكون خاصة بهم بالإضافة إلى بعض الخطوط الإسلامية مثل الخط التركي الداغستاني.

ولم يكن الاتصال الثقافي بإيران وحده سبباً فاصلاً في تنوع محتويات شواهد القبور، بل كان أيضاً للعامل الجغرافي وما نتج عنه من توزيع السكان في داغستان أثر في الاقتباس من معالم الحضارة الإسلامية وأصحاب المذهب السني في البيت الحرام والكعبة المشرفة، بالإضافة إلى بعض رسوم المعالم الإسلامية المشهورة داخل داغستان أو خارجها كإشارة إلى نوعية العتبات المقدسة وقبور الأولياء وأئمة الصوفية الصفوية الأوائل في داغستان منذ عصر إسماعيل الصفوي، والذين توطنوا في المنطقة ليكونوا حائط الصد الأول ضد الدولة العثمانية من جهة و روسيا القيصرية، ومن خلال الحملات النوعية العسكرية انتقلت الثقافة والموروث الفني والتأثير الفني والحضاري المصبوغ بالعقيدة الشيعية إلى السكان المحليين في المدينة.

ولهذا المحور من الدراسة أهمية غاية في الأهمية، ليس لكثرة التحف وشواهد القبور المشكلة على هيئة المنشآت الدينية الشيعية والمبنية علي غرار العتبات المقدسة أو مبنية على نفس الطراز المعماري والفني المنتشر في أرض فارس والممالك الشمالية المنتمية لها عقائدياً وفكرياً وتتبع نفس الثقافة وتدين بنفس الموروث الفني والحضاري. وتلعب هذه المنشآت دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي للخانيات الإسلامية والإمارات التابعة لها في محيط بحر قزوين لكون هذه الصيغ والكتل المعمارية مُصممة علي نفس الطراز المعماري والفني والزخرفي علي غرار المباني الفارسية في إيران والشبيهة لها في النماذج الفنية في شواهد القبور، محل الدراسة.

حيث كانت تلك الكتل المعمارية أشبه بتحف معمارية مُجسمة وتبدو في هيئتها كأنها مجسم مصغر لتلك المباني الشيعية الشهيرة التي تُشير إلى عتبات الأولياء وأئمة الصوفية، فتبدو وكأنها نماذج مُصغرة لمنشآت معمارية متكاملة مجزأة لبعض العناصر المعمارية مثل القباب والهياكل البنائية الدالة على مواضع إشارات دفن آئمة الشيعة الإثناعشرية.

١/ : مجسمات مصغرة لهياكل القباب الضريحية الإيرانية:

وصلنا من هذا الهيكل البنائي نماذج مُتعددة على ألواح شواهد القبور الشيعية في دربند؛ تعدان من بواكر العناصر المعمارية ظهوراً علي شواهد القبور في داغستان خلال القرن الثالث عشر الهجري كإشارة فعلية لتوثيق جوانب التاريخ السياسي والاجتماعي في داغستان المتأثر بفعل العوامل السياسية والصراعات الحربية

بين إيران ورسيا القيصرية والتي نصت علي إبقاء داغستان تحت الحماية الروسية [xv]، ولكن الروس فضلوا تجريد السكان المحليين من كل المجاهدين والمناوئين لحكمهم وجلب سكان آخرين على المذهب الشيعي ليكونوا الحد الفاصل الطبيعي والديموغرافي بين السكان الروس ذوي العقيدة الأرثوذكسية وبين السكان العثمانيين (غرب القوقاز) علي المذهب السني وبين السكان الإيرانيين ذوي العقيدة الشيعية القاطنين على الساحل المحاذي لبحر قزوين [xvi].

ولأن مكانة العراق المقدسة وإيران عند أتباع المذهب الشيعي الإثناعشري والشيعة الإمامية افترضت وجود مثل القبور والأضرحة والمزارات الدينية والعتبات المقدسة لتكون بديلاً لهم عن الحج إلى بيت الله الحرام [xvii]، مما أدي إلي تواجد مثل تلك العناصر المعمارية والكتل البنائية التي تُشير إلى مواضع العتبات المقدسة في كربلاء والنجف [xviii]، والتي خُصصت لزيارة قوافل الحجاج الإيرانيين الراغبين في الحج إلى مواضع الأماكن المقدسة، حيث كانت تتعرض قوافل الحج في كل مرة لهجمات القبائل التركمانية التي كانت تسكن في المنطقة الواصلة بين إيران شرقاً وبين العراق غرباً، لذا كان ضم العراق للدولة الصفوية والإفشارية مطلبا شيعياً لا يُمكن التخلي عنه [xix]، وهو ما أثر في تكوين مثل تلك العناصر المعمارية التي تم تمثيلها علي شواهد القبور الداغستانية خلال القرن الثالث عشر الهجري.

ولكل من العناصر المعمارية والكتل البنائية بدن مستطيل عبارة عن عمود مستطيل يعلوه قبه مركزية بصلية وأعلاها رمز الديك، وأعلا الأبراج المستطيلة الشبيهة بالمآذن الإسلامية والشرافات الخاصة بها في إيران ويعلوها قباب نصف بصلية، وفي أسفل تلك القباب الضريحية عبارة عن درجات متدرجة تمثل إشارة لبعض درجات المراقد الجنائزية الخاصة بعتبات الأئمة والمتصوفة الصفويين في إيران.

ومن الضروري التأكيد علي أن تلك القباب تمثل إشارات إلي القباب الضريحية المنتشرة في إيرن، إلى جوارها المآذن العاتية المرتفعة والتي يعلوها أنصاف قباب بصلية وهي أشبه بتلك الموجودة أعلي القبة الضريحية المركزية. ومن الواضح أن القباب محل الدراسة، من صناعة إيرانية ربما كإشارة إلى أن شيخ الطايفة الحرفية شيعي على المذهب الإثناعشري أو ربما دلت عقيدته على الموروث الحرفي والصناعي الخاص به وحرص على تسجيله على شواهد القبور، أو غالباً ارتبط بعقيدة الشخص المتوفى والذي اعتنق الموروث الفارسي على نفس المذهب الديني (**لوحة ١–٢**).

لوحة (١) مجسم مصغر للهياكل البنائية الشيعية على غرار العتبات المقدسة الإيرانية في مشهد وكربلاء وقم. تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.	**لوحة (٢)** نحت مماثل آخر للقباب الضريحية يعلو العتبات وزوج المآذن شكل الديك. تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.	**لوحة (٣)** نحت مماثل آخر للقباب الضريحية يعلو العتبات نافذة مثلثة الشكل. تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.	**لوحة (٤)** نحت يمثل المراقد المقدسة يعلوها شكل الديك مع زوج المآذن الإيرانية المعروفة. تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.

ومن اللافت للنظر هو تعدد أنماط القباب الضريحية المعبرة عن مراقد الأئمة المقدسة في إيران والعراق وبلاد القوقاز؛ النمط الأول تم تمثيله في شكل زوج مآذن يعلوها شرافات ثنائية ثم يعلوها الجوسق الشهير في العمارة الإيرانية، وفي المنتصف عبارة عن تابوت متدرج من ثلاث درجات مُغطى بقبة بصلية يعلوها ديك أحد أشهر العلامات الرمزية في العمارة والفنون الإيرانية. النمط الثاني تم تمثيله في شكل زوج مآذن عالية مُتوجة بجوسق، وفي الأسفل تابوت متدرج يعلوه نحت الديك، ثم يعلوها طبقة أخرى من البناء تم التعبير عنها في شكل ثلاثة نوافذ ثم الطبقة الثانية عبارة عن قبة مخروطية وتتوج بشكل الديك.

النمط الثالث تم تمثيله بشكل أشبه بالأنماط السابقة لكن يُميزها اختفاء العتبات المدرجة والتي تم اخفاؤها والتعبير عنها في شكل نافذة مثلثة الشكل. في حين تم التعبير عن النمط الرابع بشكل أشبه بالأنماط السابقة لكن يميزها الجزء السفلي والذي تم التعبير عنه بشكل متزاوج متقاطع ويحتوي على أربعة نقاط، في حين تم تمثيل الجزء العلوي بنفس الهيئة الشائعة في القباب الضريحية الإيرانية (**لوحة ١-٢-٣-٤**).

ومن غير المعتاد طريقة التغطية الخاصة بالعمارة الجنائزية الإيرانية والقباب الضريحية وهي غير مألوفة بعضها في أنواع التغطيات التي شاعت في إيران إبان الفترة التاريخية المعاصرة، والتي اتخذت هيئة الشكل المخروطي أو البصلي المكون من طبقتين، وهي بذلك مشابهة لطريقة تغطية القباب الجنائزية الشائعة في إيران مثل قبة بالشيخ صفي [xx].

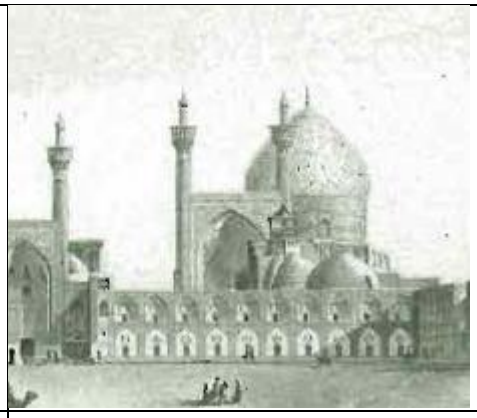

لوحة (٥) قبة مسجد الشاه في ميدان الشاه بأصفهان.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 61.

لوحة (٦) مآذن بوابة مدينة طهران في العصر القاجاري.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 40.

والحق يُقال في العلاقة الواضحة بين الشكل العام وهيئة التغطية الشائعة في العمارة الدينية والجنائزية للقباب الضريحية الإيرانية وتمثيله علي أسطح شواهد القبور بما يُعبر عن المغزى الديني والمذهبي لسكان المدينة وانتمائهم الروحي والديني لإيران منذ العصر الصفوي، والمتمثلة في القباب الضريحية والعتبات المقدسة في المساجد الصفوية في إيران في مسجد الشاه وضريح الشيخ صفي في أصفهان (**شكل ١**).

وهي مماثلة في التصميم والتفاصيل والعناصر المعمارية والكتل البنائية لتلك التي ظهرت في الشكل التالي والذي يُعبر عن تصميم قبة الشيخ صفي الموجودة بميدان الشاة في أصفهان؛ والتي تم تمثيلها بزوج من المآذن العالية ويعلوها الجواسق المكونة من ثلاثة طوابق ثم الخوذة في قمة المئذنة، وفي المنتصف بين المئذنتين تنحصر القبة الضريحية المزدوجة المكونة من طبقتين وفي الأسفل تمثيل بسيط عن التدرج الجنائزي لتابوت الدفن.

غير أنه يُمكن تأريخ الفترة الزمنية بين ظهور التصميم المعماري لقباب الشاه في إيران وعلى الخصوص في أصفهان كان يرجع إلي العصر الصفوي في عهد الشاه عباس، ولكن ظهور تلك المجسمات الصغيرة الدالة على قباب الأولياء وأئمة الصوفية الصفوية والعتبات المقدسة في دربند بإقليم داغستان راجع إلي القرن الثالث عشر الهجري، وبذلك يوجد فراغ زمني بين التصميم الأولي والمؤرخ إلى القرن العاشر الهجري.

والإجابة على ذلك أنه بعد معاهدة جولستان بين إيران وروسيا تم التنازل عن أراضي السواحل غرب بحر قزوين لصالح روسيا، والتي أبقت علي بعض السكان المحليين المنتمين إلى المذهب الشيعي في المنطقة [xxi]، بالإضافة إلي الحملات التي قامت القيصرية الروسية في تهجير السكان المسلمين الأصليين إلى مواطن أخري في سيبيريا وتركيا وبلاد البلقان، وبالتالي استعانت بإيران لتعويض الفقد في التغير الديموغرافي الناتج عن التغير السكاني في المنطقة، وبذلك توطن بعض العائلات الشيعية الجديدة في المنطقة بأمر من الروس [xxii].

ويبدو من السهل جداً ربط التشابه في الشكل العام والسمات الفنية والزخرفية في بناء الكتل المعمارية والهياكل البنائية، وهو الأمر الذي ألقى بظلاله على التأثير المتبادل بين تصميم القباب الإيرانية وبين المجسمات الشكلية الصغيرة المحفورة على ألواح شواهد القبور بنماذج مصغرة من الكتل البنائية للعتبات المقدسة، والأرجح أن زخارف ومحتوى شواهد القبور الداغستانية خلال القرن الثالث عشر الهجري متأثر تماماً بتلك النماذج التي ظهرت في إيران في العصر الصفوي وأن التأثر بينهما انتقل عبر السكان المحليين ذوي الثقافة الإيرانية والموروث الفارسي الذين توطنوا في داغستان في مطلع القرن الثالث عشر الهجري (**شكل ١-٢**).

ولا شك أن النماذج الأولى في الظهور في العمارة الإيرانية كانت تُمثل البوادر الأولى لاقتباس العناصر المعمارية والكتل البنائية علي أنماط العمارة والفنون التطبيقية اللاحقة، وهي لاشك تعود للعصر الصفوي، وبذلك تُعد شواهد القبور الداغستانية مُتأثرة بالعمارة الإيرانية الصفوية في مشهد، ويزد، وأصفهان وغيرها من المدن الإيرانية الأخرى التي انتشر فيها الموروث الفارسي بشكل كبير سواء في تصميم القباب الضريحية أو تصميم العتبات المقدسة أو قبور الأولياء والصوفية بالإضافة إلي تصميم المآذن. وهو الأمر الذي دفع للتساؤل عن إمكانية قيام بعض الفنانين الفرس والصفويين الذين تواجدوا في داغستان في أوائل القرن الثالث عشر

الهجري بتشكيل التحف الفنية علي شواهد القبور علي غرار التحف الفنية والعناصر المعمارية المعاصرة في إيران آنذاك، وهو الأمر الذي أدى إلى تشكيل تلك العناصر المعمارية علي شواهد القبور.

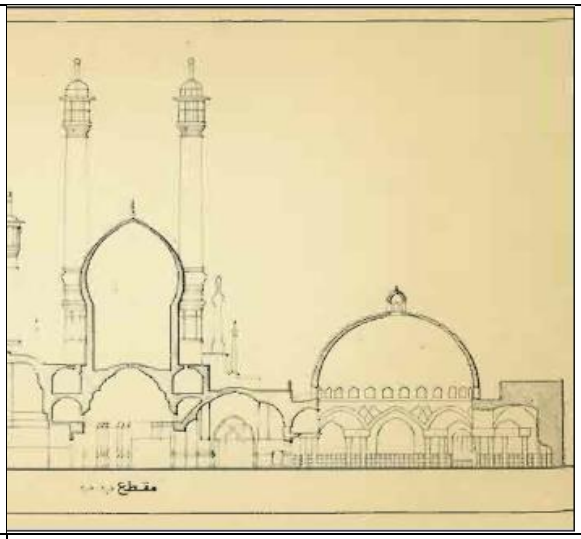

(**شكل ١**) مقطع رأسي لقبة الشيخ صفي في أصفهان.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 128.

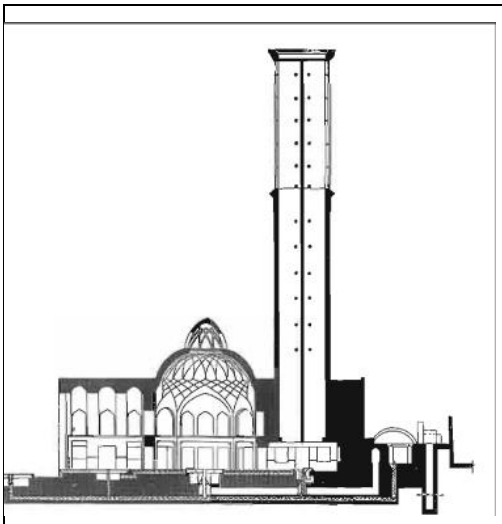

(**شكل ٢**) مقطع رأسي لمئذنة المسجد الجامع في مدينة يزد.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 205.

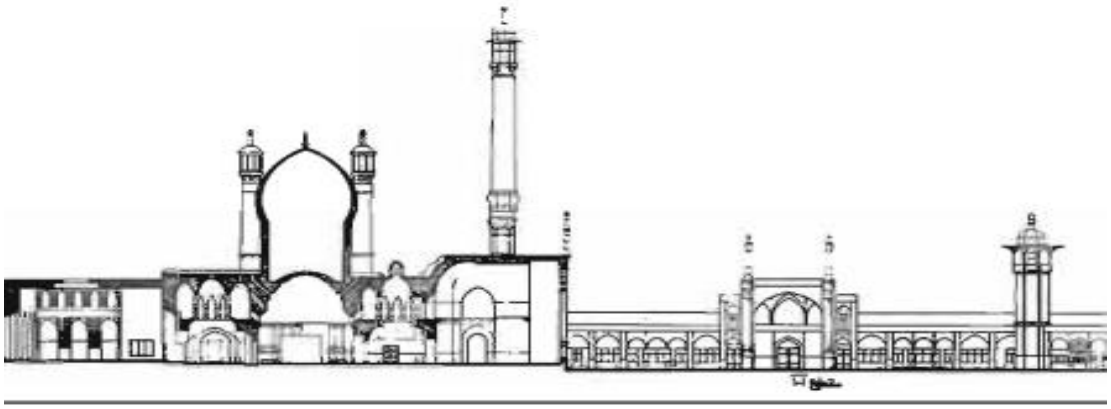

(**شكل ٣**) مقطع رأسي آخر مفصل لقبة الشيخ صفي في أصفهان.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 128.

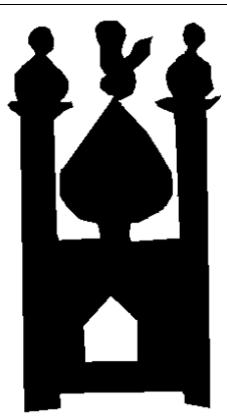	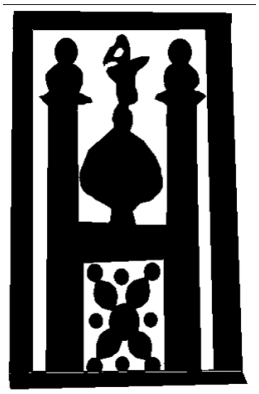
(**شكل ٤**) تفريغ شكل القبة الضريحية والمآذن. عمل الباحث.	(**شكل ٥**) تفريغ شكل آخر للقبة الضريحية والمآذن. عمل الباحث.

١/ : أشكال الشرافات المعمارية:

أصبح من الشائع في تصميم المساجد والعمائر الدينية باختلاف أنواعها وجود عنصر الشرافات المعمارية التي تتوج البناء من الأعلى فص شكل صفوف متجاورة مُتشابهة بحيث أصبحت عنصراً ملازماً لها ولا يُمكن التخلي عنها وأصبحت لها وظائف جمالية وزخرفية فيما بعد. ولم تكن الشرافات من عناصر العمارة الدينية فقط بل استُخدمت كذلك علي المباني الحربية والجهادية في أعلى الأسوار والأبراج والحصون كعنصر دفاعي لحماية سكان الحصن أو المدينة، وقد حُرص في تصميمها علي بنائها مُتقاربة لحماية المحاربين والمؤذنين علي السواء من السقوط.

وكانت الشرافات من بين أهم عناصر العمارة التي استُعملت من عصور سابقة وعلى الخصوص في العصر الساساني واستمرت في الانتشار من إيران إلي العالم العربي والإسلامي فيما بعد، وظلت في التوسع مع حكم الدول الإسلامية المتعاقبة وانتشرت على كل أنواع العمارة الحربية والدينية والمدنية، وفي المساجد أُطلق عليها مُسمى "العرائس" لأنها كانت تُشبه أشكالاً تجريدية لأناس واقفين ومتراصين إلى جوار بعضهم البعض [xxiii].

لوحة (٧)

تُوضح نمط الشرافات المدرجة علي أحد نماذج شواهد القبور.

تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.

وانتقلت بنفس الرمزية والتجريد الفني الذي ظهر على المساجد في التعبير عن كونها عبارة عن رسوم تجريدية لأشخاص واقفين إلي جوار بعضهم يتمنون الدعاء بالرحمة والمغفرة للشخص المتوفى كما ظهر في اللوحة التالية (**رقم ٧**). هذا وقد تنوعت الهيئات العامة في تصميم الشرافات المسننة على شواهد القبور التي تأثرت بالتكوين المعماري الخاص بالمساجد والقباب الضريحية في المنطقة وبكل نوعيات العمائر الدينية التي انتشرت في المنطقة منذ العصر الصفوي؛ وكان من بين نوعيات تلك الشرافات النمط المسمى بالشرافات المسننة.

١/٣: أشكال القباب المدرجة والترب:

وصلنا هيئة واحدة من نمط شواهد القبور هذا وهو أقرب إلى نمط التراكيب القبرية الأرضية بدون شاهد علوي، وهو مُصمم على نمط الترب الضريحية المدرجة والمكونة من ثلاثة طبقات يعلوها قبة جيرية منقوشة محتواها الكتابي ببعض العبارات الفارسية بخط النستعليق وهي مؤرخة بنهاية القرن الثالث عشر الهجري في مقبرة الشهداء في داغستان، وهي مُصممة على غرار الهياكل الضريحية المشهورة في إيران والخاصة بأصحاب المذهب الشيعي، وهي مُميزة في كونها يتواجد بجوار القبة الجيرية أعلى القبر بقايا أربعة هياكل جيرية كانت

تُشير في الغالب إلى هيكل مُبسط من القبة المركزية في ميدان الشاه في أصفهان بالإضافة إلى قبة ضريح مسجد الشيخ صفي وزوج المآذن الفرعية بجوار القبة المركزية (**لوحة ٨**).

لوحة (٨)
مُجسم تربة مُصممة على غرار القباب الضريحية الإيرانية.
تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.

لوحة (٩) منظر جوي لقبة مسجد الشاه في أصفهان.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 62.

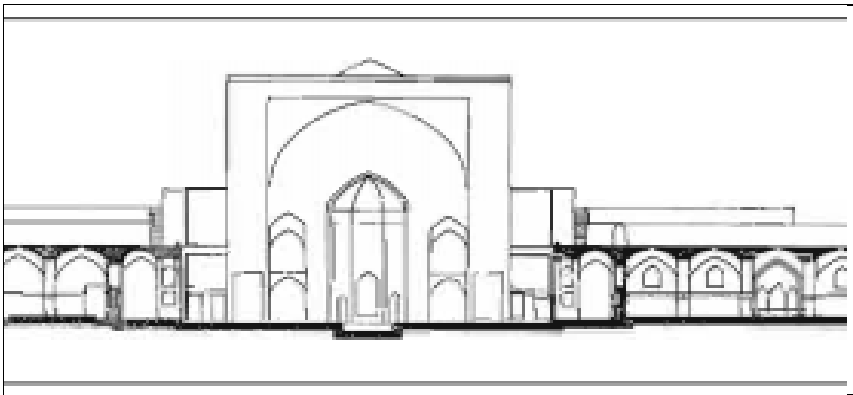

شكل (٦) قطاع رأسي بالقبة الضريحية بالمسجد الجامع بمدينة يزد.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 140.

وبالنظر في تفاصيل اللوحات السابقة اتضح اتخاذ الشكل العام للتربة هيئة بعض القباب الضريحية الإيرانية الأخرى في اعتمادها على الهيكل البنائي المكون من الشكل المستطيل المدرج والذي يعلوه قبة جيرية بصلية تشبه القبة المركزية الوسطي في تخطيط مسجد الشاه ومسجد يزد الجامع، فضلاً عن بقايا المآذن الشبيهة بتلك الموجودة في اللوحة (٩) في الجوانب الأربعة.

علاوة على هذا فقد انتشر هذا النوع من التخطيط المعماري بين بعض نماذج الفنون التطبيقية وخصوصاً هيئات المباخر المعدنية، وهو نفسه المتبع في تخطيط المساجد والقباب الضريحية الإيرانية المعتمد على مساحة مركزية مُغطاة بقبة وسطى، وتوجد نماذج أخرى حول أقدم استعمال لهذا النمط من التخطيطات المعمارية في مسجد يزد الجامع منذ القرن الخامس الهجري [xxiv].

الهوامش:

[i] **داغستان أو بلاد الجبال:** كلمة من أصل تركي مكونة من مقطعين (Dag) وتعني الجبل، (stan) تعني المكان وهي تعني بلاد الجبال.

M. N. Ismail, Islamic Gravestones in the Cemetery of Derbend City, in Dagestan Region, Southern Russia during the twelfth century AH/ Eighteenth century AD: "A Study of Form and Content" (MA. diss., University of Fayoum, 2022), 45-55

[ii] **بلاد البلطيق أو الدول الاسكندنافية:** يُقصد بها مجموع الدول الواقعة شمال الكرة الأرضية وتضم بين أراضيها (روسيا، أوكرانيا، فنلندا، النمسا، مولدوفيا، السويد، والنرويج). ويُشار إليها بالدول الاسكندنافية أو بما يعني الشعوب التي تركب البحار أو كما يُطلق عليهم مصطلح الفايكنج.

V.V. Tarasov, "Russ: Eastern Sources And The Gnezdovsky Archaeological Complex", Historical Sciences and Archeology, Bulletin of the Bryansk State University, 1/4 (2020), 105. (Russian).

وقد ذكرها ابن فضلان في رسالته بإسم البلاد الأوروبية الشمالية أو بلاد البلطيق التي تضم قبائل الجرمان والسلاف والوندال القاطنون من بداية نهر الفولغا. للمزيد راجع: ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد)، رسالة ابن فضلان في وصف بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ-٩٢١ (دمشق، ١٩٥٩)، ١٦-٢٢.

ووضح المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم: "أن المسلمين كانوا يستوردون الفراء والقلانس والشمع من بلاد الشمال. المقدسي (شمس الدين عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (بيروت، ١٩٠٤)، ٩-٣٨٠.

[iii] **القيصرية أو الإمبراطورية:** هو تعبير دال على حكم روسيا بعد توسعها علي حساب جيرانها في الشرقى وبلاد القوقاز وآسيا الوسطي. وقد تلقب الروس قبل تكوين الدولة بالسلاف، ولكن مع بداية سطوتهم وانتقال مركز الثقل الديني إلى روسيا بعد اقتحام القسطنطينية ١٨٥٣م تلقبت الدولة الناشئة باسم روسيا القيصرية ومع بداية الاستعمار الشيوعي تسمت بالإمبرتطورية الروسية. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: المسلمون في الإمبراطورية الروسية (التاريخ المعاصر) (بيروت، ١٩٩٥)، ٥-١٩٨.

M. S. Huseynov, Creation of the Caucasian Viceroyalty by Tsarism (1845-1846), Bulletin of Dagestan State University. 2/32 (2017), 16. (Russian).

[iv] يُنسب العثمانيون إلي جدهم الأكبر عثمان بن أرطغرل، وعندما توفي خلفه ابنه الأكبر أورخان غازي وتوالى من بعده سلاطين عظام أشهرهم محمد الفاتح الذي نسب إليه فتح القسطنطينية. محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (تركية) (بيروت ١٩٨٨)، ٤٠-٤٤.

[v] حكم إيران عدداً من الدول ذات الصيت الكبير منذ عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م والتي ابتدأت بالدولة الصفوية والتي استمر حكمها حتي سقوطها عام ١١٤٩هـ/١٧٣٦م علي يد الأفشار الذين تسلموا السلطة في إيران وما وراء النهر، وبعد مقتل أشهر حكامها نادر شاه دب الضعف في الدولة حتي سقوطها على يد القاجار عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م. محمود شاكر، إيران: مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (بيروت،١٩٧٥)، ٥٣-٥٥.

[vi] مهران كامرو، "اللعبة الكبري في غرب آسيا"، جامعة جورجتاون – مركز الدراسات الدولية والإقليمية (قطر، ٢٠١٨)، ١-٣.

[vii] باكو: العاصمة الآربيجانية (Bākū) وأحد أهم الموانئ الإسلامية على ساحل بحر قزوين مأخوذة من الكلمة الفارسية (Dehk̲odā)، والتي تعني الرياح الهائجة.

Encyclopaedia Iranica, Soucek, S. & Suny, G. "Baku," accessed January 20, 2016, https://www.iranicaonline.org/articles/baku-pers

[viii] يذكر ابن بطوطة: أن مدينة استراخان تم تأسيسها علي يد أحد الحجاج المسلمين عام ١٣٣٣م/ ٧٣٤هـ المدعو بـ(حاج طرخان)؛ (Ḥājjī Tark̲ān) ، وقد تميزت كباقي المدن التي شيدها المسلمون علي سلسلة جبلية تحصناً بموقعها الجغرافي.

Encyclopaedia Iranica, Spuler, B. "Astrakhan," accessed August 17, 2011, https://iranicaonline.org/articles/astrakhan

[ix] الجبوري، عاصم: أمانة، نضال أبو جواد، "القوقاز: التسمية وتشكيل الخارطة الجغرافية والديموغرافية"، *مجلة القادسية للعلوم الإنسانية*، ١٩/٤ (٢٠١٦)، ٣٥.

[x] دربند: كلمة فارسية مكونة من مقطعين (در+بند)، فيُقال دربز الباب أي أغلقه، والدربند هو المكان المُغلق (إشارة إلي موضع دربند الجغرافي علي ممر التجارة في شرق القوقاز.

لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، (القاهرة، ١٩٥٦)، ٢١٠.

– جغرافياً هي إحدي مدن إقليم داغستان علي الساحل الغربي لبحر قزوين، تتميز بموقعها الفريد عند خط طول (٤٢° ٣') شمالاً، ودائرة عرض (٤٨° ١٨') شرقاً، وتبتعد بحوالي ٣كم٢ عن الشريط الساحلي الضيق المؤدي إلي بحر قزوين.

Encyclopaedia Iranica, Kettenhofen, E. " Darband," accessed November 15, 2011, https://iranicaonline.org/articles/darband-i-ancient-city

[xi] *Encyclopaedia of Islam*, Carrère d'Encausse, H. " Derbend," accessed 13 January 2022, http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_1796

[xii] نادر شاه: مؤسس الحكم الأفشاري في إيران، ولد في سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م بمدينة دستكرد والمنتمي إلي قبيلة أفشار التركمانية (قرقلو). حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلي نهاية الدولة القاجارية، (بيروت، ٢٠٠٨)، ٨٧.

[xiii] M. W. Judith, "The Persianization of Koroglu Banditry and Royalty in Three Versions of the Koroglu Destan", *Independent scholar, Chicago, Asian Folklore Studies*, 60 (2001), 317.

[xiv] كانت تلك من بين نتائج الباحث التي أنهي فيها زيارته العلمية والاستكشافية لجبانة مدينة دربند بإقليم داغستان في ٢٠٢١.

[xv] B. Hasan, "some specific aspects of education system governance carried out in period of tsar Russia in caucasus", *Historical and Social Educational Ideas* 5/1 (2016), 123. (Russian)

[xvi] Ismail, *Islamic Gravestones in the Cemetery of Derbend City*, 58-60.

[xvii] Sh. S. Fatuh Allahayev, Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars (Baku, 2013), 4-10. (Azerbaijan).

[xviii] الأرقط، عبد الحميد، *أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول ٩٩٦-١٠٣٨هـ/١٥٨٨-١٦٢٩م* (رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية– قسم العلوم الانسانية، جامعة حمة لخضر، ٢٠١٤)، ٢٩.

[xix] البدليسي، شرف خان، شرف نامة (القاهرة، ١٩٥٨)، ٣١٦.

[xx] Sh. S. Fatuh Allahayev, Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 40-44,61.

[xxi] O. Kuznetsov, "the treaty of Gulistan: 200 years after (the Russo-Persian war of 1804-1813 and the treaty of Gulistan in the context of its 200th anniversary)", *the Caucasus & globalization journal* 7/3 (2013), 142-143.

[xxii] أبوالخير، محمد، "تزوج مسلمي الامبراطورية الروسية خارج القوقاز بعد الحرب التركية الروسية ١٨٧٧"، *تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة* ٢ (٢٠٢١)، ٧٠-٧٣.

[xxiii] وزيري، يحيي، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ٢ (القاهرة، ٢٠٠٥)، ١٢٧-١٣٠.

[xxiv] ياسين، عبد الناصر، "أثر المنشآت المعمارية في تشكيل الفنون التطبيقية الإسلامية وزخرفتها خلال الفترة (ق٢-٨هـ/٨-١٤م)"، *دورية كان* التاريخية ٢٣ (٢٠١٤)، ١٤٩-١٥٠.